

صرخات في مملكة الصمت

لم تعد أكثر من مملكة للموت،
أوفاكهة للصمت، أدعوها، وإن جارت، بلادي
وأسميها: انتحار القلب في موت جميل
قمرأ يسقط في البئر،
ربيعاً شائك الزهر،

أسميها: خريف الحلم، والليل الشتائي الطويل
خنجرأ يرقد في الصدر،
اختفاء الموت بالموت، المواعيد التي تأتي ولا تأتي،
ودمع القاتل الباكي على القبر القليل
وأنا أسميتها: المنفى، وأحزاناً لأطيوار المسافات،
اشتغال الجسد الثلجي في المقهى . . .

وهذا السأم الكافر، هذا الجدل العاقر في الشعر وفي الخبز وفي
عهر السياسة:

(- حسناً ما شئت . أفاك غداً .

- «في البدء كان القول . . .» أعني ما فهمت!
- أجمل الأشعار ما غنيت في ليل العيون الساحرة
- شتمتني عاهرة!
- وهو ما زال يعاني الجوع كلاً يا رفيق .
- وكأن الجنس في أوطاننا غول خطير ذو ينوب .
- مات «نيرودا» شهيداً .
- من ترى يعرف كتابنا شكل الصليب .
- نحن قد كنا صديقين - ولا أكثر من هذا، ككل الأصدقاء .
- وحيداً مات في مشفى «المواساة»
- إنما قد خانت الصدفة قلوبنا فعدنا غرباء!

شعر : ابراهيم ياسين

لم تعد أكثر من خارطة تأخذ شكل القلب .
أدعوها ، وإن جارت ، بلادي .
وبلادي لم تكن يوماً خرافة
أيها الناس ، ولا تاجاً لذي ملكٍ ولا قصر ضيافة .
ربما ضاقت براريها ،
وضاعت في دجى المنفى أغانيها . .
ولكن لست أدعوها حقيبة .
أو طريقاً للسفر
إنها التاريخ ، والثروة ، والحلم ، الغد الآتي وآمالى القريبة .
والأناشيد التي تولد من جرح الوتر
وأنا ما زلت في السرّ وفي الجهر أغنيها
وأدعوها إلى مائدتي كي نشرب الشاي ونرتاح على الشرفة . . .
هل تأتي الى موعدها سيدتي؟
هل يفرح القلب ، وهل تغطي يديها الابتهالات والنشيد؟
إنني منتظر في وحشة الصحراء . .
مشدود إلى بحرٍ كأمالي ، بعيد
إنني منتظرٌ
صحراء . . يا صحراء . . هل أخرها الجوع؟ عيون «الإخوة
الأعداء»؟ أن دورية الأمن؟
بلادي . .
كيف لا أبصرها فيما يرى القلب
وفيا لا يرى «الضابط» أم هذي التي تنكرني ليست بلادي؟!
مرّة - أذكر - في السرّ تواعدنا
وكان الوعد أن تأتي إذا ما انتصف العمر ، سدئ برتحل العمل
ولا تطلع من أسرارها «ذات العماد»
قلت : لا بدّ سألقاها . . وما زلت إلى جنتها أعبر وادي الليل .
من ليلٍ إلى ليلٍ ، ومن جوعٍ إلى قتلٍ ، ومن قتلٍ إلى قتلٍ إلى

قتل . . .
إلى آخره الموت المكرر والمعاد
أنذا عادٍ على أعتابها كالثلج أساقط أشعراً
وكالريح على أبوابها الثكلى أنادي :
يا بلادي
أخرجني من صدأ الموت ومن أسطورة الموت
أخرجني من آية الكرسي
من ليل الزنازين وأوجاع المساكين
أخرجني من جرحي الناظف في خاصرتي اليسرى
ومن جمر حنيني
وأخرجني ، كالطر السري ، من جوع الملايين
ومن عهر السلاطين
أخرجني من حضرة الوالي وأمجاد أمير المؤمنين
أو خذيني . .
من أفانين الممالك وأحزان الصعاليك ، خذيني
من رياحٍ عبرت جسمي سكاكيناً
ونامت في عيوني
فأنا ما زلت رغم الخوف والسيف الذي يرتاح في لحمي أغنيك
وفي منفى لياليك أنادي :
يا بلادي
يا بلادي
يا . . بلا . . د . . ي ي ي

بصرى الشام - سوريا